العرب
الثلاثاء 2020/02/25
السنة 42 العدد 11628

إيران في الحجر الصحي.. «دعاية» أميركية

زهير قصيباتي
كاتب وصحافي لبناني

لا يشبه عزلة إيران السياسية سوى طوق حجر صحي فرضته دول الجوار عليها، لمنع انتقال فايروس كورونا الذي ضرب في قم ويهدد طهران بعزلها. لكن كل ذلك لم يمنع مرشد الجمهورية علي خامنئي وعصا نظامه "الحرس الثوري" من الاحتفال بـ"امتحان الانتخابات العظيم"، ونتائجه التي لا يمكن وصفها إلا بفضيحة لنظام المتشددين والأصوليين، مهما كابر المرشد وادعى "نصرا" إلهيا.

المرشد والرئيس استنجدا بفايروس كورونا. الأول ليرد «كيد» أعدائه في المنطقة والغرب تحديدا. والثاني استعار تشبيه الفايروس بالعقوبات الأميركية لأن «الخوف منها أشد من مفعولها»

احتفل المرشد بما رآه مشاركة واسعة في الاقتراع، فيما وزير الداخلية بقر بأن الإقبال على التصويت، الجمعة الماضي، لم يتجاوز نحو 42 في المئة، وبأن 1.8 مليون ناخب اقترعوا في طهران حيث الناخبون 9 ملايين.

وعلى رغم تلك الأرقام التي تسجل أدنى إقبال على التصويت منذ ثورة 1979 يحتفل خامنئي، خصوصا لأن "النصر" تحقق رغم "المؤامرة التي لم يهدر فرصة استحضارها"، فهل من مبرر لإثارة هلع من فايروس في وقت كان على "المخلصين" لإيران الثورة والميليشيات الذهاب إلى مراكز التصويت، لأداء "واجب ديني"؟

إنهم "الأعداء" مرة أخرى الذين تبرر بهم طهران مسلسل كوارث لقبضتها، بدءا بقتل قاسم سليماني "رجل السلام" كما يصفه الرئيس حسن روحاني، مرورا بإسقاط "الحرس الثوري" الطائرة الأوكرانية والكذب في تبرير الحادث، وقبلهما انتفاضة الغضب التي أخمدها النظام الإيراني بقتله المئات من المحتجين في العشرات من المدن حيث علت هتافات "الموت لخامنئي"، بدلا من "الموت لأميركا".

نتائج الاقتراع بعد أيام على الذكرى الواحدة والأربعين للثورة، وبافتراض نزاهته الكاملة لا تعني شعبيا ما هو أهم من حجب الثقة عن نظام استنفد كل أساليبه لإخضاع أكثرية سئمت لعبة التمييز بين المتشددين والمحافظين والمعتدلين والأصوليين والإصلاحيين، لأن الجميع في سلة المرشد، وهذه لا يَأتمنُ عليها سوى "الحرس الثوري".

ومرة أخرى، لافتة "القوة الكبرى" في المنطقة والتي لوحت بها إيران لسنوات، على أمل تبادل المصالح مع القوة العظمى أميركا، ولو كانت "شيطانا"، سقطت في الواقع تحت ضربات "أقصى الضغوط" التي نجحت فيها إدارة الرئيس دونالد ترامب. ولعل سقوط خرافة القوة الكبرى تحت وطأة خنق الاقتصاد الإيراني وتفشي سوء الإدارة والفساد، وزعزعة النفوذ الإقليمي الميليشياوي المسمى "محور المقاومة"، ساهم في تبديد كل رهان داخلي على تجديد دماء النظام.

صحيح أن قبضة القمع نجحت مرات في إخماد تمرد الشارع، لكن هيمنة المتشددين و"الحرس" والأصوليين والوصوليين، وتفردهم بغالبية مقاعد البرلمان لن ينعكسا حتما اكتفاء لدى الإيرانيين بطلاق صامت مع حراس "قلعة" المرشد، وتحمل المزيد من عواقب أوهام "القوة الكبرى التي لا استقرار ولا أمن في المنطقة من دونها".

أي شرعية لانتخابات يخضع المرشحون لها لحملة تطهير مسبقة، على يد مجلس صيانة الدستور المكلف حماية ثورة النظام من "آفة" المعارضين؟ الاقتراع الهزيل رغم تمديد السلطة لساعات فترة التصويت، قد يخطئ كثيرون في اعتباره قرارا بالمقاطعة اتخذه الإصلاحيون ردا على "مجزرة" المجلس الدستوري الذي شطب آلافا من المرشحين، والحال أن مؤشرات الانتفاضة الأخيرة في نوفمبر الماضي، وما شهدته من حرق للعشرات من المصارف وهجمات على ثكنات لميليشيا "الباسيج" وهتافات حطمت كل المحظورات، تترجم فصلا كالحا من اليأس.

إنه يأس جيل الشباب الذي لم يجن من الثورة بعد أربعة عقود على خطفها للبلد، سوى الخيبة والإحباطات نتيجة البطالة والخوف الدائم من البطولات الخرافية، فيما رموز النظام المرئية والمخفية تتقاسم غنائم المصالح المالية في الداخل، وشبكة الميليشيات في إيران والخارج. جيل اليأس واضح أنه نفض يديه من طموحات الإصلاحيين الذين كانوا على مدى عهود، في السلطة أو المعارضة، بيادق لتجميل لعبة سلطة تتذاكى في تضليل قوى غربية بديمقراطية ثورة.

المرشد والرئيس استنجدا بفايروس كورونا. الأول ليرد "كيد" أعدائه في المنطقة والغرب تحديدا، إذ سخر خامنئي ممن "ضخموا وروّجوا للرعب" من كورونا لكي يمتنع الإيرانيون عن ترك منازلهم ليصوّتوا. والثاني استعار تشبيه الفايروس بالعقوبات الأميركية لأن "الخوف منها أشد من مفعولها".

الأول ينفصل عن الواقع، ولا يرى أن انتخابات اللون الواحد إسفين للنظام قد ينقلب على رأسه، في ظل الاختناق المالي والاقتصادي، والثاني تناسى أنه هو نفسه حذر قبل أيام قليلة من عواقب تجاهل مفاعيل تلك العقوبات.

أليس في اعتراف صحيفة "كيهان" بـ"استبعاد الشعب الإصلاحيين" في الانتخابات، تجاهلا غبيا لانعكاسات مدّ نفوذ "الحرس" إلى البرلمان، فيما هو على رأس لوائح الإرهاب الأميركية؟

الآن الأولوية لما يهدد الثورة بخطر وباء داهم، بعدما احتوى خامنئي "أعراض" الإصلاحيين وأطماعهم بالسلطة. والخوف الذي يتحول رعبا بعد الفايروس الذي زحف من قم، أن تكذب الثورة هذه المرة أيضا، كما كذبت بعد كارثة الطائرة الأوكرانية ميليشيا "الباسيج" كما قيل جاهزة لصد كورونا، وتطويق طهران بحجر صحي. مَن يعرف حصيلة الضحايا؟ لا بد أن يقرر المرشد.

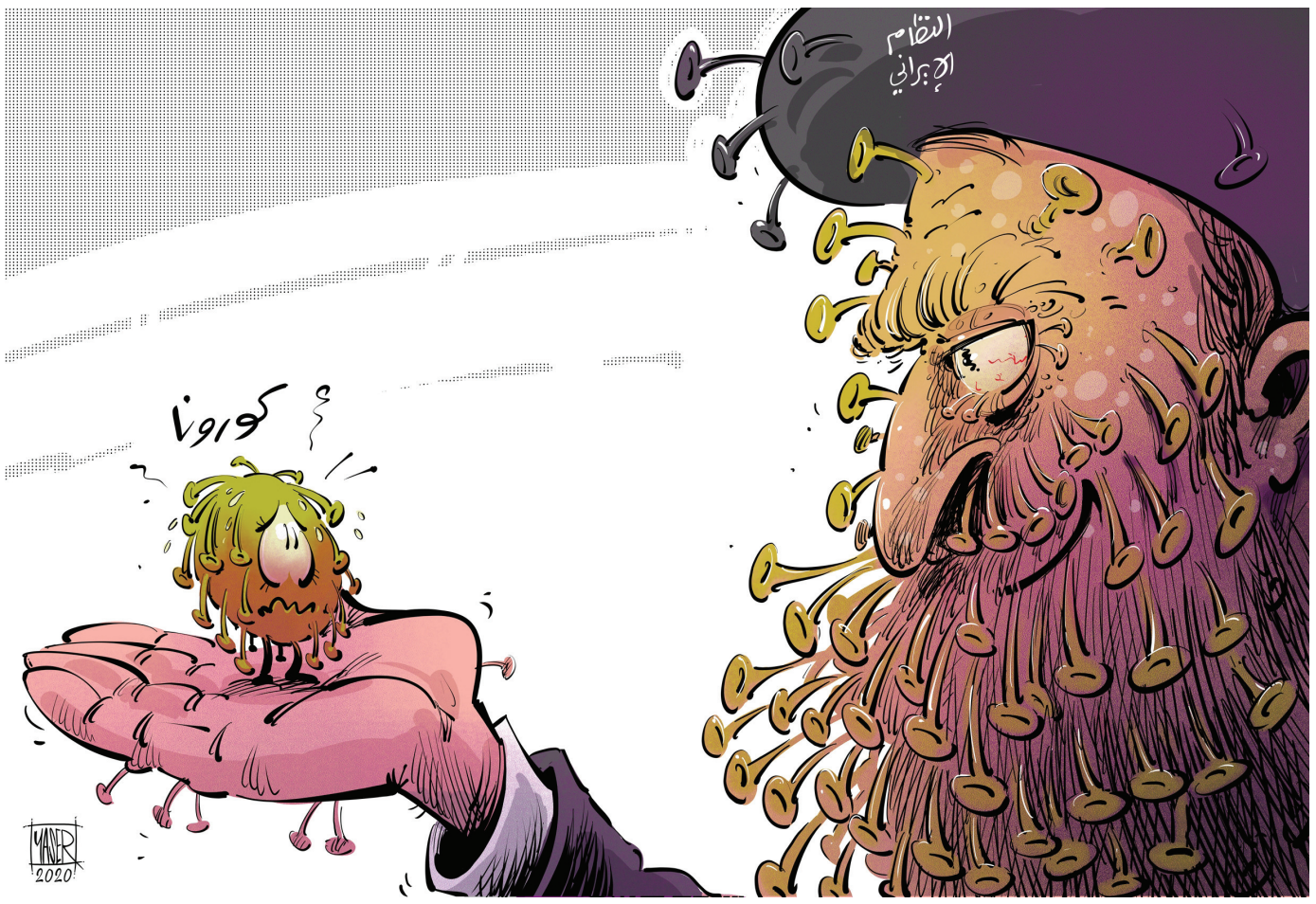

«كورونا» النظام تنهش أجساد الإيرانيين وأصواتهم

علي الأمين
كاتب لبناني

يتزامن حلول المصيبة والخيبة في إيران مع مصيبة فايروس "كورونا" الذي ينهش الشعب الإيراني من دون أي جدية في المعالجة، تتماهى مع نظام دكتاتوري ليس أقلّ فتكاً يعيش خيبة الانتخابات على الرغم من الممارسات التعسفية اللاديمقراطية بحق المرشحين والناخبين.

بحسب الأرقام الرسمية بلغت نسبة المقترعين لانتخاب مجلس الشورى في إيران 42 في المئة وهي النسبة الأدنى في تاريخ الانتخابات على اختلافها في هذه الدولة التي قامت على نظام إسلامي ظاهره ديمقراطي، وجوهره يستند إلى سلطة مطلقة لولي الفقيه الذي يتمتع بصلاحيات تتفوّق على أيّ حاكم في أيّ دولة.

لا ريب أن الشكل الديمقراطي يتركز على العملية الانتخابية ذاتها، وهي رغم ذلك عملية مشوبة بمجموعة من الشوائب التي تجعل من نتائجها معروفة قبل إجرائها، وعلى رغم ذلك فإن الهيئات المنتخبة من الشعب كمجلس الشورى ورئيس الجمهورية ومجلس خبراء القيادة الذي ينتخب المرشد، هي هيئات غير متاحة الترشح لأيّ إيراني من دون أن يحظى بموافقة مُسبقة تقوم بها هيئات تابعة للسلطة، وهي من يقرر من يحقّ له الترشح ومن لا يحق له، ويتيح هذا الإجراء أو هذه الصلاحية، مجالا واسعا للسلطة ولاسيما الولي الفقيه، تقرير طبيعة الانتخابات من خلال تحديد المتنافسين مسبقا.

فعلى سبيل المثال تم منع مئة نائب في مجلس الشورى من الترشح مجددا للانتخابات التشريعية الأخيرة، وجرى رفض سبعة آلاف طلب ترشح للانتخابات التشريعية، ما أظهر بوضوح نتائج الانتخابات قبل إجرائها، بحيث كان واضحا أن نتائج الانتخابات ستؤول إلى فوز مرشحي الحرس الثوري بعد استبعاد معظم المرشحين الذين يندرجون في إطار ما يسمى بالإصلاحيين أو المستقلّين، ولكن مع إبقاء جزء منهم في دائرة المنافسة، بما لا يخلّ بالنتيجة التي تريدها السلطة؛ أي فوز مرشحيها بالأكثرية المطلقة.

ومن المفارقات في الديمقراطية الإيرانية أنّ مجلس خبراء القيادة الذي يفترض أن ينتخب المرشد وأن يراقب سلطته ويحقّ له عزله، يخضع كذلك في عملية انتخابه، إلى عملية تصفية للمرشحين من قبل هيئة يعيّنها المرشد، بحيث يفقد هذا المجلس بعد انتخابه عمليا أيّ قدرة على ممارسة صلاحياته لأن أعضاءه خضعوا عمليًا للتعيين من قبل المرشد، وفي هذه الحالة من غير الوارد أن يقوم بمحاسبة المرشد أو إقالته بسبب تلك العملية التي تؤدّي فعليًا إلى تحوّله إلى أداة بيد السلطة أكثر مما هو مراقب لها.

الخصوصية الإيرانية للديمقراطية تفقدها معظم غاياتها، وتؤول بها إلى نموذج من الحكم الثيوقراطي الذي يتيح لطبقة أن تحكم وتتحكم بالشعب والدولة على وجه العموم، وفي إيران يشكّل الحرس الثوري بقيادة المرشد القوة الفعلية التي يسند إليها حماية السلطة والنظام الذي ينظر إلى الشعب باعتباره غير مؤهل في اختياراته، لذا لا بد من مساعدته على الاختيار من خلال تحديد من يجب عليه انتخابه.

مرشد الدولة الإيرانية علي خامنئي قال في تعليقه على تدنّي نسبة المقترعين، أن فايروس كورونا والحملات الإعلامية المغرضة على إيران، هما سبب تراجع نسبة المقترعين. وعلى مسار إلقاء اللوم على الخارج وما يرسله الغيب، لا يجد مرشد الجمهورية أيّ سبب آخر يعوق اندفاع الشعب الإيراني نحو التغيير السلمي، لاسيما أن إدارة الدولة والسلطة أوصلت الدولة الإيرانية إلى وضع مالي واقتصادي ومعيشي لم يكن يتخيّله أيّ مواطن إيراني، كان اعتبر في سقوط شاه إيران محمد رضا بهلوي قبل 41 سنة نهاية لعهد دكتاتوري وبداية لمرحلة جديدة من الرفاه والحرية في دولة تعتبر من أغنى دول العالم في ثروتها الطبيعية وفي عراقة شعبها، إلى جانب مساحة جغرافية شاسعة تقارب المليون وستمئة ألف كلم مربع، فضلا عن تنوّع ديموغرافي غنيّ، بلغ تعداده نحو 80 مليونا اليوم، فيما كان تجاوز 30 مليونا حين نشوء الجمهورية الإسلامية عام 1979.

إزاء معضلة الحصار الذي تفرضه الإدارة الأميركية على إيران، فإن النظام الإسلامي في إيران لا يمكن أن يستمر في حكم شعبه بتبرير الفقر والأزمات الاقتصادية بهذا الحصار، ذلك أن أيديولوجية النظام طالما أعلنت أن عدوّها الأول هو أميركا، لذا كان شعار "أميركا الشيطان الأكبر" هو الشعار الأكثر انتشارا وترددا في منابر النظام، وبالتالي من غير المقبول في إيران أن تحيل السلطة سوء الأحوال في البلاد إلى الحصار الأميركي، لأن أقلّ ما تتوقعه من الشيطان الأكبر هو ان يحاصرك.

لكن السلطة في إيران التي خبرت وسائل متعددة لحماية سلطتها، تدرك أن نجاح الثورات بحسب الإحصاءات منذ مطلع القرن العشرين حتى اليوم، تحقق في دول ليست فقيرة ولا يقع شعبها في معظمه تحت خط الفقر، فالثورة الكوبية على سبيل المثال، نجحت في العام 1960 في دولة كانت أكثر الدول تقدّما في أميركا اللاتينية في ذلك الحين، وكذا الثورة الإيرانية حققت نجاحها ضد سلطة الشاه ودولته التي كانت في حينه أكثر الدول تقدّما في محيطها.

النظام الإسلامي في إيران يدرك أن منع ظهور نخبة إيرانية متمايزة عن السلطة الحاكمة هو جوهر السياسة الإيرانية الداخلية، وبالتالي تشكّل "شمّاعة" الخارج والحصار إحدى وسائل القمع لكل تمايز تعبّر عنه مجموعة إيرانية.

هذا السلوك الإيراني للسلطة بات اليوم أمام خيارات وجودية، أكثر من أيّ وقت مضى، ذلك أن النظام في إيران الذي تمدّد خارجها باتجاه دول عربية عديدة، لم يكن ليحقق نجاحاته التوسعية من دون تقاطعات عميقة مع السياسة الأميركية، لكن ما يجري اليوم هو أن إيران تقعُ أمام خيارات أحلاها مرّ، فهي إمّا أن تذهب نحو عقد صفقة معلنة مع واشنطن لا يستطيع النظام تحمّل تبعاتها الداخلية، وإمّا أن تذهب نحو المواجهة والتسليم بالحصار الذي بات يهدد قدرة النظام على تلبية متطلّبات الشعب والدولة ومقتضيات النفوذ الخارجي الذي تتفاعل أزماته في أبرز معقلَيْن له في العراق ولبنان.

النظام الإسلامي في إيران يدرك أن منع ظهور نخبة إيرانية متمايزة عن السلطة هو جوهر السياسة الداخلية، وبالتالي تشكل «شمّاعة» الخارج والحصار إحدى وسائل القمع لكل تمايز تعبر عنه مجموعة إيرانية

الكارثة في إيران لا تكمن في أن نظامها كان إحدى أدوات التدمير الذي شهدته المنطقة العربية باسم تصدير الثورة حيناً، وباسم تحرير القدس أو المقدسات في أحيانا أخرى فحسب، بل بما حمله النظام الإيراني من مآس على الأمة الإيرانية والتي وهي تتطلّع في هذه الأيام في ذكرى انتصار ثورة إيران في فبراير عام 1976، إلى ما حققته الثورة. تبدو الأمة الإيرانية في موقع زاد فيه أعداؤها على أصدقائها، وزاد الفقر فيها فيما ثرواتها أُهدرت من أجل هدف واحد هو حماية النظام لا الشعب ولا الدولة ولا العرب ولا فلسطين ولا القدس ولا وحدة المسلمين الذين تشتتوا وتلاشوا كما لم يشهد تاريخهم من قبل.